الرواية كلها بخطاب عاشقة وعاشق للغة. وطفق بطلا النص يكتشفان اللغة العربية يعودان إليها ويدخلان في سحرها، حيث تكون اللغة لتكون هي الأنثى وهي الذاكرة وهي الأم وهي الوطن (ص 92) وتكون العربية رمزاً وقوة ونضالاً من أجل الحرية وسلخ المستعمر. والهروب عن اللغة العربية هو هروب من الذاكرة ومن الذات، وفي كل مرة يرغب أحد البطلين بالخروج عن ذاته / ذاتها أو الهروب من الذاكرة تكون اللغة الفرنسية هي وسيلة الفرار (ص 158). وتبقى للعربية هيبة خاصة وسلطة خاصة على القلوب والذاكرة (ص 31).

الاحتفال باللغة العربية وبالعروبة وبالإيمان وبالحرية[11]، كلها قيم نصوصية يتأسس عليها النص الذي يكتسب صفاته ومقوماته الجديدة بما إنه خطاب يتحرر من هيمنة استعمارية فرنسية من جهة وذكورية من جهة ثانية. واللغة هنا تصبح علامة على بداية عهد جديد تتخلص فيه الذات من عبوديتها وتتمثل لنا بوصفها رمزاً للتحرير من الاستعمار الرابض على جسد الأرض وعلى جسد الأنثى، فتأتي اللغة كشعور داخلي بأن ما هو حق مغتصب لا بد أن يستعاد. والمرأة تكتب لتستعيد ما سرق خلسة منها (ص 105). تستعيد الأرض وتستعيد اللغة وتتحرر من المستعمر لكي تحتفل بمجد اللغة وحريتها وعودة أنوثتها الضائعة.

3 - 4 وجهان للغة:

كانت اللغة ذات وجه واحد، وهو وجه مذكر، ومع دخول المرأة كمؤلفة برز وجه جديد للغة مما جعلها ذات وجهين وذات بعدين. وهذا فاجأ الرجل الذي تعود على احتكار اللغة واحتكار دلالاتها وترسخ في نفسه إيمان ثابت بأنه هو وحده منتج اللغة ومستهلكها وله وحده حق

(11) انظر الصفحات: 306 -310, 317- 318, 91, 96